# دور تدريس مادة الثقافة الإسلامية بالجامعة في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية

## ( الجامعات الجزائرية أنموذجا )

**الأستاذ محمد بن عبد الكريم مراح**

**المركز الجامعي محمد العربي بن مهيدي – الجزائر**

هل الجامعة المدنية الحديثة تضيق بوجود «المعرفة الدينية الإسلامية» فيها إلى جانب ما تقدمه من علوم ومعارف حديثة ؟ .

وهل صحيح أن المعارف والعلوم الإسلامية لا تتجاوز معنى المعارف الدينية من الناحية المعرفية البحتة ، شأنهما شأن المعارف الدينية عموما ؟ .

وإذا سلمنا بالتمايز بين المعرفة والعلوم الإسلامية عن غيرها من المعارف الدينية ، فما الحاجة ، وما المبرر للتفكير في فتح الجامعة المدنية الحديثة لهذه المعارف والثقافة الإسلامية ؟ ، فحسبها ما حصلت عليه من معاهد إسلامية ، تختص في تدريس الشريعة وعلومها ؟ .

وإذا كان « **الدين**» الذي هو مسألة شخصية ومجموعة من العقائد والعبادات وبعض الأخلاقيات ، فما الذي سيفيد به الجامعة وطلبتها

وعلومها ؟ .

ثم ألم نفـرغ مـن مسـألة الأيديولوجيـة ، واتجهنـا وجهـة تعـرف للعلـم اسـتقراره وصرامته وحياده ؟ .

كذلك ألم نستفد من درس ، بل دروس قاسية عسيرة ، إذ ذقنا الوبـال حينمـا كانـت الجامعة مرتعا خصبا للتيارات الفكرية والأيديولوجيـة وارتـداداتها السياسـية المتصـارعة ، وكانت الكفة فيها مائلة كثيرا للتيارات الدينيـة ، لنـأتي اليـوم فنعيـدها جذعـة قائمـة علـى أصول الصراع والتهالك ؟

أليس مـن السـذاجة بمكـان أن نفكـر في هـذا الأمـر في وقـت ينشـط فيـه العـالم ويستعد للانضواء في وحـدة موحـدة وبوتقـة جامعـة هـي العولمـة ، الكلمـة الأولى فيهـا للعلم بمعناه المـادي التجـريبي والاقتصـاد الحـر وتكنولوجيـا الاتصـال الخارقـة ، فمـن استطاع التفوق في هذه الميادين ، امتلك مع من يمتلكون الكلمة الأولى والأخيرة ؟

وفي عصر العولمة القادم هذا ، هـل يكـون مـن الجديـة الـتفكير في شـغل أذهـان وأوقات الطلبة بمثل هذه الأمور ؟

ثم ألسنا في عصر التعددية التي تقر لمن شاء الإيمان بما شاء ، والكفر بمـا شـاء ، وكل يختار الوجهة التي هو موليها ؟

وما الداعي لإقامة (اكليروس ديني) باسم العلم في مراكز العلـم والمعرفـة العلميـة فتصادر الحرية والديمقراطية ؟

وهل يغيب عمن يفكـر ـ هـذا الـتفكير ـ أن الهـم الأول الـذي ينبغـي أن نوجـه لـه تفكيرنا وانشغالنا هـو النهـوض باقتصـادنا والحصـول علـى الاسـتقرار السياسـي والأمـن الاجتماعي ؟

هذه الأسئلة ، وربما كثير غيرها مما كان ينبغي طرحها ولم نطرحها ، جـديرة بـأن تُلقى بين يدي موضـوعنا ، وسـيعتور البحـث مـن الـنقص المعيـب بقـدر مـا تغيـب منـه الإجابات عنها ، لن نحول البحث إلى ساحة لإجابـات جزئيـة مباشـرة عـن كـل سـؤال ، وإنما حسبنا الإحاطة بالموضوع لتحتوي الإجابات الشافية ـ بإذن الله تعالى ـ علـى مـا لا يخل بالبحث في منهجيته ، ولا يفـوت علـى الحقيقـة نصـيبها مـن النصـاعة والوضـوح ، والواقع حقه من الاعتبار .

ولقد رأيت أن يتمحور البحث على المحاور الآتية :

ـ تمهيد : أحدد فيه المراد من (مادة الثقافة الإسلامية)

ـ المحور الأول : وسوف أتناول فيه مبررات تدريس مادة الثقافة الإسلامية ، بالجامعة وبخاصة الجزائرية ، على اعتبارها تأتي على رأس العوامل الحاسمة في أداء الجامعة دورها في المحافظة على الهوية العربية والإسلامية

ـ المحور الثاني : وفيه ألقى أضواء على محاور ومضمون (مادة الثقافة الإسلامية) الواجب تدريسها .

## التمهيد

ليست الغاية من (مادة الثقافة الإسلامية) أن تدرس مواد بعينها من علوم الشريعة ، والدين الإسلامي الحنيف على نحو ما هو عليه الأمر في الكليات والجامعات الإسلامية التي أنشئت خصيصا لتدريس هذه العلوم ، فيتلقى فيها الطلبة على مرور سنوات الدراسة والتعليم المقررة ، موادا بعينها في العقيدة والفقه على تنوع أبوابه ، وأصول الفقه والتفسير والحديث ، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، وغيرها من المواد التي دأب المسلمون على تعليمها ، خلال تاريخ الحضارة الإسلامية في المساجد ، ومنارات العلوم الإسلامية التعليمية .

إن المقصود بمادة الثقافة الإسلامية هو أن تصاغ مواد محددة تتخذ من القرآن والسنة مرجعية أساسية ثابتة ، وتؤخذ من شتى المعارف الإسلامية في عصور تألقها العلمي والمعرفي ، كما تستلهم من الصياغات الإسلامية المعاصرة لتلك المعارف ، التي أدلى بها علماء الإسلام المعاصرون من خلال اجتهاداتهم المعتبرة في عرض الإسلام بلغة العصر ، بعد أن تفاعل مع مشكلاته وأفكاره ومذاهبه الفكرية والفلسفية والعقائدية ، فتصبح هذه المادة معبرة عن مبادئ الإسلام ، وقيمه وجملة معارفه ، على مستويات العقيدة والأخلاق ، ونظم الحياة المختلفة ، كما عرفتها الحضارة الإسلامية ، وكما تفاعلت ـ تلك العلوم ـ مع عصرنا معبرة عن قضاياه واهتماماته .

وإذا ذهبنا مذهب تجزئة مفهوم « مادة الثقافة الإسلامية » لقلنا : تندرج تحتها فروع أو مجموعة مواد انصهرت فيها العقائد والأخلاق والنظم ، لكنها ، أي الثقافة تعني : « جملة القيم الدينية والأخلاقية والنظم الاجتماعية ، والمعارف العلمية والأشكال الفنية والعادات والأعراف التي قامت بها الحياة الفردية للإنسان المسلم والحياة المشتركة

للشعوب الإسلامية في أي قطر من أقطار الإسلام . أما عـن الصـفة «الإسـلامية» ، فـذلك أننا نريد من القـيم والمعـارف والـنظم والفنـون الـتي دعـا إليهـا المسـلمون ، وقامـت بهـا المجتمعـات الإسـلامية ، ومارسـتها الحيـاة الإسـلامية في أي مـن أقطـار الإسـلام وشعوبه» (1) .

نخلص مما تقدم أن [مادة الثقافة الإسلامية] المرادة هنا : تركيب من مـواد وفـروع تعبر عن مبادئ الإسلام وأحكامه في ضوء قضايا العصر ، وثقافته ومعارفـه ممـا يكسـب متلقيها معارف عامة بدينه في ضوء العصر ، ومعارفه وعلومه وقضاياه .

## مبررات تدريس مادة الثقافة الإسلامية

رأيت تقسيمها إلى المبررات الآتية :

### أولا : المبرر العقائدي :

لقد ارتبط تكون الأمة الإسلامية بالتفافها حول عقيدة التوحيـد ، ومـن هـذه العقيـدة وجب عليها أن تستمد منها ما يرشد كل مسالكها المعنويـة الأدبيـة والماديـة في الحيـاة ، وعلى رأسـها اكتسـاب المعرفـة والعلـم ، فبـالعلم الصـحيح تُعـرف العقيـدة الصـحيحة ، وتُلتزم المسالك المسـتقيمة في حيـاة المسـلم ، فـالعلم حجـر الزاويـة في البنـاء الفـردي والمجتمعي ، كما يقدمه الإسلام للإنسان .

ولكن العلم الذي يشبع بطن الإنسان وينمّي جسـده ، ويرضـي غرائـزه وحـده ، لا يحقق للكيان الإنساني في صورته المتكاملة الانتعـاش والسـعادة الحقيقيـة العميقـة ، لهـذا كان مـن صـميم العقيـدة الإسـلامية ارتبـاط وانبثـاق المعرفـة عـن مبادئهـا وترعرعهـا في جوها ، وعلى هدى توجيهاتها ، فكل «شيء في نطاق المعرفة [على هذا التصور] إنمـا يحقق غاية أو أخرى ، أرادها الله تعـالى ؛ وذلـك ليصـبح نظـام الأسـباب في هـذا الكـون نظاما من الغايات ، على قمتها تقف الإرادة الإلهية لتحـدد كـل موجـود فـرد ، وغايـة كـل سلسلة من الغايات ، وغاية النظام العام كله» (2) .

ولهذا كان المبرر العقائدي على رأس مبررات تـدريس مـادة الثقافـة الإسـلامية ، إذ

(1) فيصل ، شكري ، منهجية معاصرة من أجل الثقافة الإسـلامية ، مجلـة الإسـلام اليـوم ـ منظمـة الايسيسـكو ، الربـاط ، المغرب ، العدد2 ، السنة2 ، 1404هـ 1984م ، ص27 .

(2) إسلامية المعرفة ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، واشنطن ، ص79 ـ 80 .

لا يعقل أن نعطى المتعلم غذاء روحيا ينمي شعوره بهويته ، وأصالته في المراحل التعليمية ما قبل المرحلة الجامعية ، لينقطع عنه هذا المدد في المرحلة التي تعتبر من أشدها حساسية في بنائه الروحي والعقلي .

إن من يعلم أن عقيدته تملي عليه أن يكون على منهج ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 162] ينبغي أن تتسع مداركه ليفهم ذلك على أن الترقي في مراقي التطورالمعرفي والاقتصادي ، ينبغي أن يكون في سبيل ما يرضى الله تعالى ، وبإدراج مادة الثقافة الإسلامية في برامج التعليم بالجامعة ، لعلنا نكون خيراً من حالنا فيما نسمع في جامعاتنا كثيراً عن العلم والتعلم وعن العمل والترقي على السلم الاجتماعي ، وقلما نسمع عن مرضاة الله في ما نطلبه من نصيب الدنيا [1].

الحقيقة أن الجامعة التي تحرم في مناهجها من ذكر الله تعالى هذا الذكر العلمي ستحرم الأمة ؛ بسبب ذلك ، من أن يشع عليها ـ من خلال أبنائها ـ نور الإيمان بمصيرها وأهمية وجودها الحقيقية ؛ إذ من المفترض أن الجامعيين (هم المكلفون بري إيمان الأمة بنفسها و بمستقبلها ، برعاية عقيدتها ، فالجامعة حرم الأمة ، والإيمان قدس أقداس ذلك الحرم) [2] .

فتدريس مادة الثقافة الإسلامية تفعيل لعقيدة الطلاب ، وخروج بها من حالة السكون والكمون إلى النشاط والدافعية للتطلع إلى إنجاز المستقبل ، وهذا وحده يصلح ـ في الحقيقة ـ لأن يكون مبررا كافيا لدعوتنا إلى تدريس مادة الثقافة الإسلامية في جامعاتنا .

## ثانيا / المبرر التاريخي :

قلما انقطعت أمة في أنظمتها الفكرية والعلمية والتعليمة عن تاريخها القريب والبعيد نقدا واستلهاما واعتبارا وتواصلا ، وكل هذه الأنواع تجد لها موضعا في مجال موضوعنا فمما يستلهم من درس التاريخ العلمي لأمتنا أنه سيتخذ « شكل الإثارة الحركية التي تفيد من التاريخ لإطلاق هذه الحركة ، وإثارة القوى الكامنة ، وتأكيد الثقة

(1) الفاروقي ، إسماعيل ، حساب مع الجامعيين ، مجلة المسلم المعاصر ، بيروت ، لبنان ، العدد30 ، 1402هـ ـ 1982م ، ص53

(2) المرجع نفسه ، ص32 .

بالذات» [1] التي يمتزج بها الإسلام بمبادئه وعقائده ، ودعوته للعلم والمعرفة والحركة والتقدم ، وخوض تجربة تقرب المسلمين «من المشاركة في الموكب الإنساني المعاصر ، وتدفع عنهم إصر التخلف ووصمته . . . وتمهد لحركة مواكبة ومتابعة جديدة» [2] تحتل فيها مادة الثقافة الإسلامية للطلاب دور المذكر في تواصل مستمر .

ومما يُعتبر منه كذلك ، اعتبارا تاريخيا ، حالة كابدتها الجزائر في بعض مراحل تاريخها المعاصر ، وتصدى لها بالمعالجة رائد النهضة الجزائرية الحديثة الإمام عبد الحميد ابن باديس [1889 ـ 1940م] ، يكفي ذكرها لإسقاطها على موضوعنا ، فقد لاحظ لدى بعض من تصدوا للتعليم ، أثناء تلك الفترة الاستعمارية ، نزوعا نحو اللادينية مما ينطبع به حتما مضمون ما يتعلمه الطلاب ، فخاطبهم بأدبه السامق وحجته الدامغة قائلا» . . . إذا كان لبعضكم بحكم الطبع أو بحكم الوظيفة منازع لادينية في التربية والتعليم ، أو منازع سياسية في لغة التعليم (يقصد معلمي المدارس الفرنسية الاستعمارية) ، فلا تنسوا أن في الأمم جانبا وجدانيا لا يمكن انتزاعه ، ولا التسلط عليه ، ولابد من اعتباره عاملا أساسيا في تربيتها الخاصة ، ومقوما أولا لوسائل تلك التربية ، وهذا الجانب هو الدين واللغة التي تعبر عن حقائق ذلك الدين .

وأنتم تعلمون كذلك أن الأمة الجزائرية أمة إسلامية الدين عربية اللسان ، يستحيل عليها أن تتخلى على ذلك الدين ، ويستحيل عليها أن تفهم حقائق ذلك الدين إلا باللسان العربي» [3] لينتهي ، بعد ذلك ، إلى نتيجة مذهلة إذا قسناها بما تجنيه التربية الحديثة حين تخلو من «التثقيف الروحي الديني» ، فقال : «نصارحكم بأن الجهود التي تبذلونها في التثقيف المدني العقلي كلها تذهب هباء بالنسبة لأبنائنا إذا فاتهم التثقيف الروحي الديني» [4] .

فكون الشباب ـ زهرة الأمة ـ لا يتثقف هذا التثقيف الروحي الديني ، من خلال مادة الثقافة الإسلامية لا يُنظر إليه على أنه مجرد عفو ، يُتجاوز عنه ، وإنما هو الفراغ الذي تحتله بدائل الانحراف بشتى ألوانه ، مما يوشك أن يؤدي بالأمة إلى التخلي عن

(1) فيصل ، شكري ، المرجع السابق ، ص33 .
(2) المرجع السابق ، ص33 .
(3) آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس ، ج6 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ـ الجزائر ، 1406هـ 1985 ، ص192 .
(4) المرجع نفسه ، ص193 .

ذاتيتها ، مما يؤول بالمجتمع إلى اضطراب ، لا تدرى عاقبته .

والمسألة ، على أي حال ، ليست مسألة تهويل أو تهوين ، إنما هو شرط توازن الذات وانسجامها الذي علّمناه التاريخ ، فالذهاب بالتعليم مذهب الفصل بين تعليم ديني وتعليم مدني ، إخلال بهذا الشرط ، ودخول في متاهات لا يعلم المخرج منها إلا الله تعالى ، فمما لا مراء فيه أن حالة الفصل هذه لم تكن واردة في النظم والممارسات المعرفية والعلمية ، في تاريخنا الإسلامي التي نشأت لخدمة الدين ، الذي به صلاح الأمر في الحال والمآل ، وهو موضع اعتبار تاريخي أيضا .

ومما يُعدّ تواصلا تاريخيا ذلك التجاور العجيب بين المعارف ، والعلوم خلال تاريخنا وحضارتنا ، حتى لتجد عالم الدين هو بالضرورة المعرفية ، عالم دنيا ، وكذلك عالم الدنيا هو أيضا عالم دين ؛ لأن حضارتنا لم تعرف هذا الازدواج والفصل الغريب بين علوم الدين وعلوم الدنيا .

وعلى الرغم من إدراكنا ما آلت إليه العلوم من تخصص ، لإننا نطمح في أن تقود « مادة الثقافة الإسلامية » طلابنا إلى آفاق جديدة في البحث والنظر ، فهذا العالم المسلم الباكستاني محمد عبد السلام صاحب جائزة نوبل في الفيزياء « يصرح بأن معرفته الدينية كانت أحد روافد الإلهام الذي كشف له عن وحدة القوتين (الكهروطيسية) و (النووية الضعيفة) » [1] .

## ثالثا/المبرر العلمي :

يملي علينا الحديث عن هذه الخاصية وما سبق التنويه به ، استحضار خاصية من الخصائص التي انطبعت بها الثقافة الإسلامية ، في الغالب ، في مراحل ازدهارها وتطورها وهي انجذاب المعارف فيما بينها ؛ رغبة في تكاملها واتفاقها في دوائر ونقاط تقاطع ، تستهدف غايتين هما : صلاح الدين والدنيا وابتغاء مرضاة الله تعالى .

أما حالة الانفصام بين العلوم الدينية و العلوم الدنيوية ، حتى لا تلاقيَ بينهما ، فمن شأنه إرباك الطالب المسلم بصدد تحقيق الغايتين ، وإرباك الحياة بالنكد والضيق ، وجدير بالذكر أن موضوع تكامل المعرفة باب يطرح نفسه ، في الأوساط العلمية بشكل

(1) القريشي ، علي ، العلماء بين عزلة التخصص وتكامل المعرفة ، مجلة المسلم المعاصر ، مصر ، العدد89 ، السنة 23 ، ص100 .

جاد ، في مقابل التطرف الحاد الذي انتهى إليه انعزال التخصص [1] .

فالموضوع يطرح من باب الضرورة والحيوية العلمية والتطور العلمي ، إضافة ـ في مقامنا هذا ـ إلى ما تتمتع به الثقافة الإسلامية من أصالة وقوة ، فتفضي اعتبارا لهذا التكامل إلى « استقامة أحوال الاجتماع الإنساني في العقل والتفكير والمعاملة والسلوك ، ولُحمة ترابط المعارف وتكاملها ، إنما تتجلى في حصول المنفعة المادية والمعنوية والخلقية في حدود القصد والاعتدال» [2] .

لكن ما الذي تجنيه المعارف المختلفة التي يتلقاها الطلاب في الجامعة من تدريس هذه المادة من الناحية المعرفية ؟ .

نعتقد أن مضمون مادة الثقافة الإسلامية ـ بالنظر لمصدريها الأساسين : القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ـ تمتلك من القوة والقدرة ما يفتح على المعرفة الإنسانية أبوابا جديدة ، وخلاقة للبحث والابتكار ، كما تتوفر على توجيهات صائبة ، توجه الفكر نحو النقد والتمحيص والخلوص إلى الصواب ، ما أمكن ، في مضطرب الاتجاهات والآراء ، ومحاولات ملامسة الحقيقة وإصابتها ، مما اتخذته المذاهب موضوعا للدراسة والبحث .

إن مادة الثقافة الإسلامية ستكون بمثابة (الآلة الفارزة) [3] في هذا الخضم المعرفي ، ومن جهة أخرى ستسهم ـ بحكم خاصية التوازن بين المادة والروح ـ في تقريب الإنسان من إنسانيته وفطرته ، وتخفف من غلواء وتطرف المادية الغربية ومناهجها العلمية ، التي انتهت في بعض الأحيان بأصحابها إلى التخطيط لعالم ، هو سوق ، كل ما فيه مادة تباع وتشترى ، ودعك من المبادئ الإنسانية الخلابة التي يتنادون بها ولأجلها ، فلطالما هزمت أفعالهم أقوالهم .

## رابعا/ المبرر الأخلاقي :

(1) انظر المرجع نفسه .

(2) الخطابي (محمد العربي)، « الثقافة الإسلامية» ، مجلة الإسلام اليوم ، منظمة الايسيسكو ، الرباط ـ المغرب ، العدد12 ، 1415هـ 1994م ، ص26 .

(3) اليوسف ، أحمد إبراهيم ، ص55 « . . . وفي بلاد أخرى يضبطون إيقاع التعليم ومناهجه خشية أن يؤدي إلى تفسخ المجتمع ، أو التحرر المفرط ، أو فساد الأخلاق» ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، العدد1 ـ المجلد29 ، يوليو ـ سبتمبر2000م .

يعـانى التعلـيم علـى المسـتوى العـالمي ، في السـنوات الأخـيرة ، مـن أزمـة ذات أوجه ، ليس أقلها الجانـب الأخلاقـي ، فـالعنف المدرسـي صـار مشـكلة تـؤرق المـربين والمسؤولين على التعليم ، وتتناقل وسائل الإعلام وقائعه في أكثر بلاد الله مدنيـة ، وتُعقـد المؤتمرات وتنجز الدراسات العلميـة لدراسـته ، والـتفكير في حلـول ناجعـة لـه ، كـذلك يلاحظ أن الألبسة الفاضحة في المدارس أصبحت مشكلة في كثير مـن البلـدان المتمدنـة ؛ لما تسببه من إغراء الذكران متعلمين ومعلمين بالإناث ، حتى أخذت بعض الـدول تفكـر في إصدار تشريعات ، تحفظ على المدرسة حرمتها العلمية والتربوية .

قد يبدو أن هذه المشـكلات خاصـة بالمـدارس ، والمؤسسـات التعليميـة مـا قبـل المرحلة الجامعية ، أما هذه المرحلة فهي الـتي تسـتقبل الطـلاب ، وقـد أخـذوا يقطعـون أشواطا في النضج الفكري والمعرفي والعمـري ، ثـم إن في الجامعـة تخفيفـاً ، إلى أبعـد حد ، من مظاهر الانضباط والقيود الكثيرة المتشددة ، التي تميـز المراحـل الـتي تسـبقها ، ثم إن مظاهر العنف في الجامعة تخفّ عما هي عليه في سابقاتها ؛ فحيثمـا يتـاح للفكـر والسلوك أن ينطلقا في حرية ، فليس لك أن تتوقـع أو تبحـث كـثيرا عـن وقـائع عنـف ، على النحو المعروف في الوسط التربوي ، ولهذا قد يكـون في طـرح المسـألة الأخلاقيـة ، على نحو ما ، بالجامعة ، إعادة بذر لبذور العنف والصدام اللذين ما أنشـئت الجامعـة ، إلا لتخريج الأطر التي تنفى خبثهما ، عن المجتمع المتحضر الذي تسهم في بنائه .

قد يكون لهذا الاعتراض وجه من الصحة ، فما الوجـه الـذي يمكـن الاسـتناد إليـه بوصفه مبررا للدعوة لتدريس مادة الثقافة الإسلامية بالجامعة الجزائرية ؟ .

الحقيقـة أن المسـألة الأخلاقيـة بالجامعـة لا يمكـن حصـرها في مظـاهر العلاقـة الوادعة السلمية بين الأساتذة والطلبة ، وكل الذين يحويهم الحرم الجـامعي ، فهـذا جانـب واحد ، ولنا فيه قول ، إنما المسـألة الأخلاقيـة في حاجـة إلى تقـدير أعمـق ، وهنـا نـرى الحاجة ماسة للتفطن إلى أمرين هما :

الأول : أن المجتمع الذي يراد له النزول عند القيمة الأخلاقيـة أو الخلـق ، ونقيضـه بمجرد تغير الحيز أو دائرة الوجود والممارسة ، فإنـه يفقـد أصـالته وحاسـة التمييـز بـين الخطأ والصواب الخلقيين ، اللذين هما مناط التمييز بين الإنسان والحيوان .

الثاني : أن التعلـيم ، بمـا فيـه الجـامعي في الـبلاد المتمدنـة ، أمـين علـى المبـادئ الكبرى التي انبنت عليهـا حضـارتها ، فـلا نتصـور أن يخـذل التعلـيم مبـادئ الديمقراطيـة

والحريـة في بلـد ، كالولايـات المتحـدة الأمريكيـة ، كمـا اسـتقر عليـه بنـاء المجتمـع الأمريكـي ، وهـذا يـدعونا للتـذكير بالخصوصـيات الحضـارية ، ومنهـا الخصوصـيات المفاهيمية والقيمية التي تميز حضارة عن أخرى .

اتساقا مع هذا المنطق ، فـإن التعلـيم ، بمـا فيـه الجـامعي ، يجـب أن يضـئ حيـاة الإنسان ، فيعرفه بنفسه وحقيقتـه ومنزلتـه في هـذا الكـون والغايـة مـن وجـوده ، وعلاقتـه بالكون وما فيه ، ورسالته في الوجود ، وكيفية أدائها ، ثم مصـيره بعـد هـذه الحيـاة ، كمـا يجـب أن يـنظم التعلـيم حيـاة الإنسـان بتعويـده علـى قبـول القـيم الأخلاقيـة الفرديـة والجماعية [1] ، ويمكننا التأكيـد علـى أن لـيس لهـذه المهمـة ، سـوى إدراج مـادة الثقافـة الإسلامية في المقرر الدراسي الجامعي .

لقـد تحالفـت علـى أجيـال الأمـة الإسـلامية قـوى التغريـب والعلمنـة في الـداخل والخارج ، والأزمات خاصة منها الاقتصادية والاجتماعية ، بل أحيانا الروحية . وكـثيرا مـا وجهت في ظلها التهم للإسلام انسجاما مع أغراضها ، فأدخل كل ذلك الكثير من أجيالنـا الحاضرة ـ ومنها الجامعيون ـ في فتن الإحباط واليأس والإعراض عـن القـيم الأخلاقيـة ، وفتور الرغبة والأمل في انبعاث حضاري .

لقد باتت الجامعة أحيانا كثيرة وفي أماكن عـدة مثـار شـكوى مريـرة مـن مظـاهر التحرر والتفسخ الخلقي . أفلا يدعونا هذا إلى الـتفكير في المقولـة الـتي تـذهب إلى وصف « التعليم المعاصر بأنه خلو من الأخلاق والقيم ، وفي ذلـك تعـارض واضح مع فطرة الإنسان . . . ودعوة إلى انتشار التحلل وفقـدان القـيم مـع انتشـار التعليم » [2] ففي كثير من الأحيان يتلقى الطالب المعلومـة في مضـمون لايـدعو إلا للتحلل من القيم ؛ لكون الفلسفة الـتي استخلصـت تحـت إشـرافها ومبادئهـا تلك المعلومة فلسفة مذهب مـادي خـالص . فلنفكـر في التحـام العلـم بالثقافـة التي تصوغها قيم الإسلام ومبادئه ، وما إدراج مادة الثقافة الإسلامية سـوى خطـوة علـى هـذا الطريـق . إننـا بحاجـة إلى نهضـة علميـة تتمتـع بـأعلى صـور القـيم والأخلاق كي تتأهل لـدخول الحضـارة العالميـة بشـكل مميـز ، إننـا بـذلك قـد

(1) النجار ، زغلول راغب ، أزمة التعليم وحلولهـا الإسـلامية ، مجلـة المسـلم المعاصـر ـ لبنـان ، العـدد11 ـ 1397هـ 1977م ، ص18 .

(2) المرجع نفسه ، ص171 .

نجيب على الأسئلة المطروحة الآتية : « أليست حاجتنا شديدة لتقويم أخلاقنا ، إلى إيقاف التدهور الأخلاقي المتفشي في مجتمعنا ؟ أليس همنا الأكبر بناء الأمة من جديد ؟ فهل يجوز للجامعيين أن يتعاطوا العلم دون التعرض للأخلاق ؟ . . . أين جامعاتنا التي وضعت التنشئة الأخلاقية جنبا إلى جنب التعليم النظري ؟ أين هي برامجنا التي تثبت ذلك ؟ وأن أخلاق الأستاذ والطالب من سلم أولوياتها ؟ » (1). إننا نرى أن دورا كبيرا فاعلا لمادة الثقافة الإسلامية بالجامعة ، في التقليل والتخفيف من المظاهر والمشكلات الأخلاقية التي تسود في المجتمع الجامعي ومنها : الانحراف الخلقي ـ سوء العلاقة بين الأساتذة والطلاب ـ الغش ـ الشكوى من ظلم الأساتذة للطلاب وشكوى الأساتذة من رغبات الطلاب في النجاح بأبسط الجهود ـ مظاهر اللامبالاة والتهور التي كثيرا ما يبدو عليها بعض الطلاب ـ فقدان الوعي ببعض القيم كالحياء واحترام الحرمات والحفاظ على الشرف والذود عنه ـ غياب روح الجد والمثابرة في التحصيل العلمي لدى الكثيرين مما يسفر عن الرسوب والإعادة وما يستتبعهما من مشكلات شتى . . . وغيرها من المظاهر السلبية التي كثيرا ما ينطبع بها وسطنا الجامعي .

إلى جانب ذلك من الضروري إثارة مسألة تتصل بموضوعنا وهي في الحقيقة من أهم القضايا التي أثيرت ولا تزال تثار في فلسفة العلوم وهي الصلة بين العلم والأخلاق ، فلا شك أن في الموضوع آراء كثيرة متناقضة نحن في حل من التعرض لها في مقامنا هذا ، ونتجه قصدا لتحديد الصلة بينهما بصيغة [أسبقية] الأخلاق على العلم ؛ فليس للعلم ـ افتتانا بكشوفه الباهرة ـ أن يفعل بالإنسان والحياة ما يشاء وإلا انقلب إلى مارد مجنون يهلك ويهلك . وليس ببعيد عنا مثالين صارخين من تاريخ العلم وواقعه : معضلة الأسلحة النووية واستنساخ الإنسان التي سارعت جهات مشبوهة عقائديا لتجسيدها فيما يبدو رغم الاستنكار العالمي الشديد .

وعليه فيجب ألا تقتصر الدراسات والتكوين العلمي وتخريج الأطر والباحثين والعلماء على الأغراض والأهداف العلمية والمهنية فحسب ؛ لأن « قصر اهتمامات الدراسات المهنية ( والعلمية ) على نقل الخبرات التقنية والمهارات ( والعلوم ) فقط لا يمكن أن يصنع

(1) الفاروقي ، إسماعيل ، المرجع السابق ، ص55

منها مهنة صالحة ، وذلك لأن المهنة تحتاج إلى جانب المهارة لقيم أخلاقية تمنع صاحبها من استخدامها إلا لصالح الآخرين ، فالطالب الذي ينتظم في دراسة مهنية ( أو علمية ) معينة ، لا يمكن أن يكون صالحا لممارستها حتى يتعلم القيم التي تجعل من مهنته عملا إنسانيا وحتى يؤمن بها ويلتزم بتطبيقها » [1] من أين يكتسب الطالب إطاراً لمستقبل هذه الروح الخيرة ، والتطلع للنفع الإنساني ، إذا لم يصحب تكوينه العلمي أو التقني تكوينا ثقافيا ذا مضمون أخلاقي كالذي تضمنه مادة الثقافة الإسلامية ؟

## خامسا /المبرر الحضاري :

ارتبط التعليم بغاية كبيرة من غايات كثيرة يصبو إلى تحقيقها ، وهي تنمية المجتمع وبنائه الحضاري . وكل من التنمية والحضارة إضافة للثقافة من أدق المفاهيم التي إذا تحددت اتضحت معالم صورة المجتمع الذي ’يراد تحقيقه ، وهذا ما يفسر لنا إقامة التعليم في المجتمعات المتحضرة على المبادئ الكبرى للمجتمع ، وخدمته للتنمية وانسجامه مع روحها وفلسفتها . إن المجتمعات التي تترك التعليم يشق طريقه المعرفي والعلمي بعيدا عن رؤية وفلسفة للتنمية والحضارة والثقافة منسجمة مع الذات ، سيخرج إطارات وخبراء وتقنيين يعانون من غربة الروح وتشتت الشخصية ، فتتهزم التنمية في ذلك المجتمع و’يخذل مشروعه الحضاري ، وفي أحسن الأحوال يعانون من ازدواجية بين العلم والتقنية والموروث الحضاري .

ومما يسهم ـ في تقديرنا ـ في تقريب الشقة بين الذات الحضارية التي ينبع منها مشروع الأمة التنموي والحضاري ، وبين المعارف والعلوم المتلقاة في الجامعات ، إدراج مادة الثقافة الإسلامية في مقررات الجامعة لمختلف التخصصات ؛ إذ الجامعة « وحدها التي تستطيع إزالة الازدواجية في الأمة بإزالتها من التعليم . فما عليها إلا أن تحسن تعليمها للناس وتمكنهم من العلوم الحديثة ومعالجة مشاكل الأمة من منظور الإسلام ، فيتخرجون موحدي الشخصية ومتفاعلين مع عصرهم » [2] . بهذا وحده في اعتقادنا ’ندخل الجامعة في حساب صياغة التنمية الاجتماعية والحضارية المتوازنة للمجتمع ، تأخذ منه وتعطيه في عملية جدلية الواقع وبرؤية فلسفية تربوية . باعتبار التربية « أهم العناصر الفعالة في تطوير المجتمع ، وهي في الوقت نفسه ’تعتبر

(1) النجار ، زغلول راغب ، المرجع السابق ، ص161 .

(2) الفاروقي ، إسماعيل ، المرجع السابق ، ص52 .

أهم أداة للمحافظة على القيم السائدة فيه ، وعلى توازن قواه العاملة فهي تعتبر المسئول الأول عن تقدمه أو انتكاسه والفيصل في ذلك هو فلسفة المجتمع وعقائده وقيمه . فإن كان للمجتمع فلسفة واضحة للحياة وتصور سليم لدور الإنسان فيها ، انعكس ذلك في فلسفة تربوية سليمة لا تهزها الأفكار الهدامة ، ولامناورات المفاهيم المنحرفة ، ولاهزات التغيرات السريعة التي تعكس عدم الاستقرار في المجتمعات» [1] . إن أي مفهوم غير هذا للعلاقة الجدلية بين المجتمع والتربية بما فيها التعليم والتربية في المرحلة الجامعية ستضيع معه فرص التنمية والاستقلال الحضاري .

قد يُعترض على هذا الكلام بدعوى تمتع الجامعة بالحرية والاستقلال في الفكر والعمل . لن نذهب بعيدا في مناقشة هذا الاعتراض ، بل حسبنا أن ننظر إلى الجامعات في الدول المتحضرة ، هل يسمح فيها بما ينال من الأسس الكبرى التي انبنت عليها حضارتها ، كالديمقراطية والحرية بالمفاهيم والمضامين الغربية تحديدا ؟ إن أقسى أنواع النقد الذي يمكن أن تناله هذه المبادئ لا يخرج عن تناول الانحرافات التي تشوبها عند التطبيق ، أما المبادئ ذاتها بوصفها مبادئ مقدسة فالضمير الجمعي بما فيه الضمير العلمي صيغ على الامتناع ورفض ما ينال منها . إن التمعن في هذه الحقيقة بإنصاف وتجرد يسهل على فكرتنا المرور لمواطن القبول في النفوس السليمة والعقول المنصفة . وفي المعجزة اليابانية ما يعضد ـ دائما ـ فكرتنا إذ أخذت المعرفة والتقنية الغربية ثم استنبتتها في أرضها وفي أحضان موروثها الثقافي والحضاري ، فأفلحت حيث نحاول ونراوح مكاننا ، فلقد « اعتمدت النهضة في اليابان على صيغة خاصة جمعت بين القديم والجديد في تناغم ناجح . . . فزاوجت الثقافة الروحية اليابانية بالتكنولوجيا المتقدمة من الغرب . . . فليست الثقافة الروحية والتكنولوجية أمرين مختلفين إنما هما في الواقع متصلان اتصالا وثيقا » [2] .

إنه مبرر حضاري قوي ذو أثر فعال على المدى البعيد ـ خصوصا ـ حين ندعو لإدخال مادة الثقافة الإسلامية في المقررات التعليمية الجامعية ، « فلا بد من تزويد الطالب بقدر من أصول المعرفة والثقافة التي تربطه بحضارته والتي تعينه على بلورة تصوره وتفكيره وتزكى خلقه وسلوكه ، وتمكنه من أن يكون مثلا حيا لهذه الحضارة

(1) النجار ، المرجع السابق ، ص155 .

(2) خضر ، محسن ، (عناصر التحديث في التجربة اليابانية) مجلة القافلة ، السعودية ، العدد12 ) مجلد48 ، ذو الحجة 1420هـ أبريل2000م ، ص 40 .

التي يمثلها والرسالة التي سيحملها بين الناس في حياته العلمية» [1] .

لقد نادى منذ زمن بعيد المفكر رشدي فكار ـ رحمه الله تعالى ـ بضرورة تقديم النموذج التربوي المستلهم من الإسلام ومبادئه ، وتساءل « لماذا لا نوفق بين حقائقنا التاريخية وتراثنا الخالد ، وبين التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية لتعمق الشعور بالانتماء إلى الأمة وتزكيه وتجذره بقدر ما تؤصل التطلع إلى الغد ، وإلى المستقبل الأفضل» [2] . ولتأكيد الحاجة لمثل هذا التوجه ، نضرب مثلا من الواقع التربوي للعدو الإسرائيلي ؛ إذ مما يحسب للاتجاهات التربوية في هذا الكيان « أنه طرح التناقضات في إطار نشط مزكيا لها لتلعب لصالحه فتعايشت الأساطير لتعبئ الوجدان الديني وتتعمق وتأخذ طابع الالتزام مع العقلنة والتقدم والمعرفة التكنولوجية . . . وهكذا عمق الكيان الصهيوني تربويا الشعور الديني وتركه يتجذر مستغلا ما له من فاعلية تلقائية وقدرة نشطة بالنسبة للجماهير كما عمق معطيات التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية ، وسمح لهما أن يتعايشا في كل اتجاهاته التربوية دون إلغاء أو مصادرة» [3] .

إن الثقافة الإسلامية تتوفر على قوة دافعة خلاقة نحو التقدم والعقلنة والأخذ بأسباب التحديث في الوسائل والأساليب مادامت لخير الإنسان ونفعه ، فلا نخشى مع اعتمادها في المناهج التعليمية بالجامعة الوقوع في أسر الازدواجية والتناقض بين العلم والدين مثلا . إن الأمر يتعلق بالانطلاق الحضاري الذي إذا تم التسليم بأن سره « هو معادلة صعبة تتجاذب فيها المواقع عدة أرقام حسابية ، فإن الثقافة الذاتية تمثل دون شك أحد أهم أرقام تلك المعادلة وأكثرها خطورة» [4] .

## مادة الثقافة الإسلامية (أهدافها ومفرداتها)

نتناول في هذا المحور أغراض وأهداف تدريس مادة الثقافة الإسلامية بالجامعة الجزائرية على الخصوص ، ثم نقدم تصورا حول مفرداتها .

---

(1) العسال ، أحمد محمد ، (مادة الثقافة الإسلامية ، أهدافها وأبعادها) ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد15 ـ 1398هـ 1978م ، ص149 .

(2) فكار ، رشدي ، حوار متواصل حول مشاكل العصر ، خميس البكري ، مكتبة وهبة ، مصر ، ص165 .

(3) المرجع نفسه ، ص161 ـ 162 .

(4) نويري ، ابراهيم ، الثقافة الذاتية . . منطلق المسلمين الحضاري ، مجلة الحرس الوطني ـ السعودية ، السنة 21 ، جمادى الأولى1421هـ أغسطس 2000م ، ص79 .

## أهداف تدريس مادة الثقافة الإسلامية :

1 ـ تغذية الروح بما يحييها وينعشها ، بالغذاء الروحي الذي يكون مضمون مادة الثقافة الإسلامية ، من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، فبهما تحي العاطفة الدينية في نفوس الشباب ، وتخف حدة ووطأة الأزمة المادية على النفوس .

2 ـ تزكية النفوس بتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل النفسية ، مما يساعد كثيرا في التماسك الاجتماعي خاصة في مجتمع الجامعة .

3 ـ صقل سلوك الطالب والرفع من مستواه الخلقي .

4 ـ بناء قاعدة معرفية في الثقافة الإسلامية ، ليتخرج الطالب في الجامعة وقد جمع إلى تخصصه العلمي معارف إسلامية عامة تربطه بذاته الحضارية ، وتقوي فيه الشعور بالانتماء إلى حضارته ودينه ومجتمعه .

5 ـ يمثل تدريس مادة الثقافة الإسلامية بالجامعة تواصلا مع الحضارة العربية الإسلامية في عصور ازدهارها العلمي والمعرفي والثقافي . وبعثا للهمة في نفوس الطلاب لطلب المعارف والعلوم والشوق لإعادة أمجاد حضارتنا .

6 ـ إتاحة فرص تفتح الآفاق للبحث العلمي ، من خلال الحوار العلمي والثقافي الذي تجريه الثقافة الإسلامية مع المعارف والعلوم الأخرى ، سواء في ميادين الدراسة وقاعاتها أو في أذهان الطلاب والأساتذة .

## ـ مقترحات لمفردات مادة الثقافة الإسلامية[1] :

يمكن تقسيم مفردات هذا المقترح إلى محاور محددة ضمن كل مقرر أو عناصر رئيسة ومفردات متفرعة عنها :

### أولا : المدخل للثقافة الإسلامية . ويتناول الآتي :

1 ـ مفهوم الثقافة الإسلامية ، وماله علاقة بها كالثقافة والعلم ، والحضارة .

2 ـ المصادر التي يستقى منها الإسلام .

3 ـ الغاية والوسيلة في الإسلام ، فالغاية هي هداية البشرية إلى تحقيق عبادة الله تعالى وحده ، ووضع المناهج العلمية لبناء الحياة الفاضلة . والوسيلة في الفرد تصحيح

(1) انظر العسال ، أحمد محمد ، المرجع السابق ـ ملحق مقرر مادة الثقافة الإسلامية ، بتصرف وإضافة .

الايمان بالله عز وجل تصورا وعملا ، وتأكيد الإسلام للفطرة ، وحثه العقل على النظر والتفكر ، ووضعه أسس العلاقات البشرية وفق الأخلاق الفاضلة .

والوسيلة في المجتمع ، بإرساء الحياة الاجتماعية على أسس أخلاقية يرتبط فيها العمل بالعبادة ـ وتنبثق النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من العقيدة والأخذ بالاجتهاد لمواجهة الظروف الطارئة والمتغيرة .

4 ـ الإسلام في دور التطبيق : على مستوى المجتمع الإسلامي : كفاءة التطبيق في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ـ اتساع الدولة الإسلامية وتحطيم العبودية والاستغلال ـ تحرر الفرد من الشهوات والشبهات ـ قول الحق ـ التعاطف والتراحم .

ـ وعلى مستوى الحضارة الإسلامية : تأصيل منهج التفكير العلمي ، وحصاده من الجانب العلمي : الدراسات الإسلامية ـ الرياضيات والعلوم التجريبية . . إلخ . ومن الجانب العمراني ، التخطيط والتنظيم والمؤسسات الاجتماعية .

5 ـ أسباب تخلف المسلمين وانحطاطهم ، من تاريخية وسياسية وعلمية ، وداخلية وخارجية .

## ثانيا : الإسلام وبناء المجتمع :

1 ـ الإنسان بين النظرة الجزئية والشاملة ـ 2 ـ نظام الأسرة في الإسلام ، من حيث أهدافها ، وأسسها ، وقضاياها ـ 3 ـ المجتمع الإسلامي من حيث أسسه ، وعوامل ارتباطه ومميزاته .

## ثالثا : الاقتصاد في الإسلام :

يتعرف الطالب على المذاهب الاقتصادية الكبرى ، وخاصة الليبرالي الذي يسعى اليوم للسيطرة العالمية عبر العولمة والنظام الدولي الجديد وتحرير التجارة العالمية والمعلوماتية ، والنقد العلمي الموجه إليه . ثم مفهوم وخصائص الاقتصاد في الإسلام وأهميته ، وأركانه ، والتعرف على بعض المفاهيم الاقتصادية كما تضمنها فقه المعاملات ، والنقد الصارم للربا وآثاره على الاقتصاد العالمي واقتصاد الدول الفقيرة والتي تحاول النمو .

## رابعا : النظام السياسي في الإسلام :

باعتباره دينا ودولة ، فتتناول أسس الحكم والدولة كما قررها القرآن والسنة ،

والتجربة التاريخية للحكم الإسلامي خاصة في العهد النبوي والخلفاء الراشدين ، ثم كيف انحرف الحكم بعد ذلك إلا في حالات قليلة ، وأثر هذا الانحراف على النظرية السياسية في الإسلام ، وعلى الواقع الإسلامي . والمقارنة بين أهم الأسس والمفاهيم السياسية في الإسلام والنظريات الغربية السياسية .

## خامسا : الأخلاق في الإسلام

مع مقارنتها مع بالنظريات الأخلاقية الكبرى . ودراسة نموذجية لبعض الأخلاق الإسلامية على ضوء النصوص والتجربة التاريخية والواقع المعاصر في العالم الإسلامي والحضارة المعاصرة .

## سادسا : الإسلام والفنون والآداب :

ويتناول النظرية الجمالية في الإسلام ، وموقف الإسلام من الفنون المختلفة والآداب ، باعتدال دون تطرف في هذا الاتجاه أو ذاك .

ونخلص إلى القول بأن إمعان النظر في هذه المادة ومفرداتها ووضعها موضع التطبيق والمراجعة سيفضي إلى إسهام طيب في الدور الحضاري المنوط بالجامعة الذي تؤديه للمجتمع والرفع من المستوى الخلقي للطلبة وتحصيلهم العلمي . والمحافظة الأكيدة على الهوية العربية الإسلامية .